

## الأسلوب المسجوع في الآيات القرآنية

حسام على محمود\*

أعظم بيكدلي\*\*

### الملخص

يمثل القرآن الكريم أساساً لكل مظاهر الحياة العقلية والبشرية المتطورة الناشئة للغايات السامية والقويمية، ذات الأهداف النبيلة الساعية إلى منح الفرص المتساوية لزهو الشعوب واستقلالها في كل المجالات دائماً وأبداً. ولذلك فقد كانت آياته المباركة بمثابة براهين خالدة عظيمة أولت تصوير تلك المظاهر من خلالها بأبلغ الكلمات والعبارات وبأعمق المعاني والدلالات التي تسطرت تباعاً على صدر سيد الكائنات محمد عليه وآله أفضل الصلاة والسلام. ومن هنا صارت آيات القرآن الكريم موضع اهتمام الأدباء كما العلماء، في إظهار رقة وجمالية الأساليب القرآنية التي كسبت القلوب وأجبرتها على الاستماع والإنصات، والخشوع عند ترديدها فيما بعد. ما يعنى أن أسلوب القرآن الكريم البلاغى، كان له الأثر العميق في إرساء دور الآيات القرآنية في التبليغ والدعوة، جراء الأسلوب المعجز الذى تميزت به هذه الآيات والذى نطلق عليه «السجع». لذا، سنحاول في هذه المقالة أن نقدم دراسة وافية حول هذا الأسلوب الأدبى والجمالى الذى تميز به القرآن.

الكلمات الرئيسية: القرآن الكريم، السجع، السجع القرآنى، أسباب السجع.

### المقدمة

لا يخفى على كل طالب أو باحث أو كل عالم أو متعلم، بأن للقرآن الكريم فضلاً واضحاً

\* باحث أكاديمى و كاتب فى الاذاعة و التلفزيون لجمهورية ايران الاسلامية aboahmad\_61@yahoo.com

\*\* طالبة فى مرحلة الدكتوراه بجامعة طهران azam.bigdeli@yahoo.com

تاريخ الوصول: ١٣٩٠/٦/١٠، تاريخ القبول: ١٣٩٠/٧/١

من معانيه الفياضة وألفاظه المتطورة وتراكيبه الجديدة وأساليبه العالية التي أفاض بها على اللغة العربية.

لقد ابتعد القرآن عن شوائب ظاهر التعابير والألفاظ والتراكيب، بل ما أضفاه على أنيق معانيها، جعلها تنطق ببلاغة أكثر، جرت بعد ذلك على ألسنة البشر، وهي تتمثل في أمثالهم وحكمهم وخطبهم، وما حملته ميزات العديدة التي أفرزها لها القرآن الكريم ما أفرزه، من الفنون البديعية، ومنها السجع.

ولهذا بات السجع عنصراً من عناصر فن القول الأدبي ولوناً من ألوان التعبير اللغوي الذي عُنى به الكثيرون من القدماء والمحدثين، فأفردوا له كتباً وبحوثاً عكست ذلك التنوع العجيب في إيقاعات القرآن الفنية التي بلغت فيه من الحسن والفصاحة أعلى مراتبها ومن أساليبها وفنونها أرقى سلالمتها. فلا غرو إذ أذعنا إلى أن القرآن الكريم قد أطلق للسجع حقيقة جديدة أمسى لها شأن في اللغة العربية وألوانها الأدبية.

## السجع

### السجع لغةً

ورد عنه في لسان العرب

سَجَعٌ يَسْجَعُ سَجْعًا: استوى واستقام، وأشبه بعضه بعضاً. والسجع: الكلام المقفى، والجمع أسجاعٌ وأساجيع. وسَجَّعَ تسجيحاً: تكلم بكلام له فواصل كفواصل الشعر من غير وزن (ابن منظور، ٢٠٠٤: مادة سجع). وفي الجمهرة نجد: السجع: هو موالاتة الكلام على روى واحد. وسجعت الحمامة إذا رددت صوتها (ابن دريد: ج ٢٢) على وجه واحد، وكذلك سجعت الناقة في حنينها، ومدت حنينها على جهة واحدة.

### السجع دلالةً

أن تتواطأ فاصلتان في النثر على حرفٍ واحدٍ أى انتهاء الجملتين بكلمتين متشابهتين في أواخرهما (أبو حاق، ١٩٩٦: ١٩٦-١٩٨)، معناه هو: توافق الفاصلتين في الحرف الأخير من الكلام المنثور<sup>١</sup>، وهو يعدّ في النثر كالقافية في الشعر (الزويبي، ١٩٩٦: البيان والبديع «لطلبة قسم اللغة العربية»، ١٥٢).

حيث يقول ابن سنان فيه: «كما أن الشعر يحسن بتساوي قوافيه كذلك النثر يحسن بتماثل

حسام على محمود و أعظم بيكدلى ١٠٩

الحروف فى فصوله ويقول فى موضع آخر: «فأما القوافى فإنها تجرى مجرى السجع (الخفاجى، ١٩٥٣: ١٦٤-١٧١).

ولقد اختلف العلماء من البلاغيين واللغويين والمفسرين وغيرهم فى تسمية أواخر الآيات سجعاً أو فاصلة؛ فكلا المصطلحين مغرقان فى القدم فعرفهما العلماء وتناولوهما فى ثنايا مؤلفاتهم. فالبعض منهم مال إلى تسمية هذه الظاهرة الأدبية «سجعاً» (عبود، ١٩٩٢: ١٢٥) نظراً إلى رواج تسميته عند العرب فى مجاهل صحراء الجزيرة العربية. إذ كانوا يكشفون عن دفين ما كان فيها من نفثات الصدور، وشوارد الأفكار. فإنهم فى تلك الحقبة البعيدة من الزمن كانوا يعبرون عن خلجات أنفسهم بنثرهم فى خطبهم ومواعظهم وحكمهم وأمثالهم (طهرانى، ١٣٨٠: ٣١)، فامتدت هذه التسمية امتداداً واسعاً إلى أن وصل الأمر إلى العلماء، فاتخذها البعض منهم فى العصور اللاحقة وأطلقوا تسمية (السجع) فى بحوثهم القرآنية.

وأما البعض الآخر من العلماء، فقد آثروا استعمال مصطلح «الفاصلة» على مصطلح «السجع»، استناداً إلى الآية القرآنية «كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ» (فصلت: ٣) وحاولوا الابتعاد عن استعمال «الأسجاع» لأسباب منها؛ أنهم كانوا يرون أن أصل السجع من «سَجَعَ الطيرُ» فيشرِّفون ويعظمون القرآن الكريم أن يُستعار لشيءٍ فيه لفظ هو أصل فى صوت الطائر (الزركشى، ١٩٩٠: ١٥٠).

ثم إنهم كانوا يعتقدون أن السجع حمل عبر تاريخه الطويل ظلالاً من المعانى وسمته هى التكلف والنفرة، فهذه السمة كانت سمة مميزة لحديث الكهان قبل الاسلام ولأجل تشرىف القرآن الكريم عن مشاركة غيره من الكلام؛ كانوا يتجنبون عن استعماله (أحمد نحلة، ١٩٨٩: ١٧٥، ١٧٦).

## أنواع السجع

لقد ظهرت تقسيمات مختلفة عن السجع وأطواره لدى العلماء، فاختلّفوا فيه. فقسّم فريق منهم السجع من حيث الروى أو الوزن، وبعضهم الآخر قسّمه من حيث الطول والقصر للفقرة أو مقدار الفقرة. ويمكن عرض هذه التقسيمات بحسب الزوايا السالفة إلى أنواع متعددة.

فمن حيث توافر الوزن وعدمه، ومن حيث اجتماع الوزن مع عنصر آخر، أو انفراده، ينقسم إلى أربعة أقسام أو أكثر؛ منها:

١. السجع «المطرّف»؛ وهو أن تتفق الفاصلتان فى حروف السجع (الروى) دون الوزن. كقوله تعالى: «ما لكم لا ترجون لله وقاراً وقد خلقكم أطواراً» (نوح: ١٣، ١٤).

٢. السجع «المتوازى»؛ هو اتفاق الفاصلتين (الجمليتين) وزناً وتقفية، إذ تتفق اللفظة الأخيرة

من الفقرة مع نظيرتها في الوزن والروى واشترط بعض العلماء ألا يقابل ما في الفقرة الأولى لما في الثانية في الوزن والتقفية (السيوطي، ١٣٧٠: ٢ / ١٠٤)، نحو «أعوذ بك من الفقر إلا إليك ومن الذل إلا لك» أو كقوله تعالى «فيها سررٌ مرفوعةٌ وأكوابٌ موضوعةٌ» (الغاشية: ١٣-١٤).

٣. السجع «المرصع»: هو ما تتفق فيه ألفاظ الجملتين وزناً وتقفية ويكون ما في الأولى مقابلاً لما في الثانية، نحو: «إن الأبرار لفي نعيم، وإن الفجار لفي جحيم» (الانفطار: ١٣-١٤)، ومثله أيضاً قوله تعالى: «إن إلينا إيابهم، ثم إن علينا حسابهم» (الغاشية: ٢٥-٢٦).

٤. السجع «المتوازن»: هو أن تتفق الجملتان في الوزن دون التقفية (السيوطي، ١٣٧٠: ٢ / ١٠٤)؛ نحو قوله تعالى: «ونمارق مصفوفة وزرابى مبثوثة» (الغاشية: ١٥-١٦).

فريق آخر من العلماء - كما أشير - يقسمونه من حيث الطول والقصر الى ثلاثة أقسام:

- قصير موجز؛

- متوسط العجز؛

- طويل مفصح مبين للمعنى مبرز (الجوزية، ١٣٢٧: ٢٢٧).

السجع القصير الموجز: هو ما تكون فيه كل فقرة مسجوعة مؤلفة من ألفاظ قليلة كقوله تعالى: «ألم» (البقرة: ١؛ آل عمران: ١؛ العنكبوت: ١؛ السجدة: ١؛ لقمان: ١)، «حم» (المؤمن: ١؛ فصلت: ١؛ الزخرف: ١؛ الدخان: ١؛ الأحقاف: ١)، «طسم» (الشعراء: ١؛ القصص: ١)، فإن أقصر الفقرات في السجع ما يكون من لفظتين وأطولها ما يكون من عشر لفظات، كقوله تعالى: «والشمس وضحاها، والقمر إذا تلاها» (الشمس: ١-٢).

وما بين هذين متوسط (الجندی، ١٩٥١: ٢ / ١٨٣) كقوله تعالى: «والنجم إذا هوى، ما ضل صاحبكم وما غوى، وما ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى» (النجم: ١-٤). وأيضاً قوله تعالى: «وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا: سحر مستمر، وكذبوا واتبعوا أهواءهم، وكل أمر مستقر» (القمر: ٢-٣).

السجع الطويل المفصح: وهو ما تطول الألفاظ فيه، وتتفاوت درجاته في الطول، وأقصر الطوال ما يكون من إحدى عشرة لفظة، وأطولها غير مضبوط (الجندی، ١٩٥١: ٢ / ١٨٣).

وكلما طالت الفقر زاد بيانها وإفصاحها، وقد وقع في الفقر المطولة ما هو من عشرين لفظة فما حولها. كقوله تعالى: «إذ يريكهم الله في منامك قليلاً ولو أراهم كثيراً لفشتلتم ولتنازعتهم في الأمر ولكن الله سَلَمَ إنه عليهم بذات الصدور، وإذ يريكموهم إذ التقيتم في أعينكم قليلاً ويقللكم في أعينهم ليقتضى الله أمراً كان مفعولاً، وإلى الله ترجع الأمور» (الانفال: ٤٣-٤٤).

ومن ذلك أيضاً قوله تعالى:

«وَلئن أذقنا الإنسان مِناً رحمةً ثمَّ نزعناها منه إنه ليُبوسُ كفور، ولئن أذقناه نعماءَ بعدَ ضراءَ مسَّته ليقولنَّ ذَهَبَ السيئاتُ عنى إنه لفرحٌ فخورٌ» (هود: ٩-١٠).

ويتكلم السيد قطب في كتابه «التصوير الفنى فى القرآن» عن هذه الأنواع من السجع مشيراً الى أنها تتفاوت «الاسجاع» فى الطول والقصر والتوسط بحسب الأجواء والسور (سيد قطب، ١٩٥٦: ٩١-٩٣-٩٤) وبحسب السياق فى السورة الواحدة، ثم يتنبه الى ملاحظة طريفة وهى: أن الفواصل تقتصر غالباً فى السور القصار، وأنها تتوسط أو تطول فى السور المتوسطة والطوال (المصدر نفسه: ٩٠-٩١).

يبقى تقسيم آخر للسجع وهو انقسامه بحسب مقادير الفقرات الى:

١. أن تكون الفقرات متساوية فى عدد الكلمات كما فى قوله تعالى: «فأما اليتيم فلا تقهر، وأما السائل فلا تنهر» (الضحى: ٩-١٠) وأيضاً قوله: «فى سدرٍ مخضودٍ، وطلحٍ منضودٍ، وظلٍ ممدودٍ» (الواقعة: ٢٨-٣٠).

٢. أن تكون الفقرات مختلفة فتختلف طولاً وقصراً، فالاختلاف قد يكون بين فقرتين، أو أكثر (الحسنوى، ١٩٨٦: ١٥٤-١٥٥). مثال ذلك قوله تعالى: «بل كذبوا بالساعة واعتدنا لمن كذب بالساعة سعيراً، إذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظاً وزفيراً، وإذ ألقوا منها مكاناً ضيقاً مقرنين دعوا هنالك ثبوراً» (الفرقان: ١٢-١٣).<sup>٥</sup> وأيضاً قوله تعالى: «أفلا ينظرون الى الإبل كيف خلقت، والى السماء كيف رُفعت» (الغاشية: ١٧-١٨).<sup>٦</sup> وقوله تعالى أيضاً: «خذوه، فغلوه، ثم الجحيم صلوه» (الحاقة: ٣٠-٣١).<sup>٧</sup>

## شروط السجع

شأن السجع كشأن أساليب التعبير الأخرى فى اللغة، ففيه الجيد والردى، وفيه الحسن والأحسن والجميل والأجمل (الزوبعى، ١٩٩٦: ١٥٧). وتوافر شروط السجع فى الكلام تكون ضرورية لمعرفة السجع نفسه إن كان قد طغى على ظاهر الكلام أم لا، ومن هذه الشروط:

أن الأصل فى السجع إنما هو الاعتدال فى مقاطع الكلام. والاعتدال مطلوب فى جميع الأشياء والنفس تميل إليه بالطبع ويستسيغه السمع. ومع هذا فليس الوقوف فى السجع عند الاعتدال فقط، ولا عند تواطؤ الفواصل على حرف واحد، فلو كان ذلك هو المراد من السجع لكان كل أديب سجعاً (عباس، ١٩٩٨: ٣٠٦).

أن تكون الألفاظ المسجوعة حلوة حادة رنانة رقيقة عذبة، لا ركيكة ولا متكلفة، بعيدة عن الغثاثة والبرودة، فلا ينبغي للسامع أن يصرف همه الى الأسجاع والتطابق ويهمل الألفاظ وحلاوتها. أن تكون الألفاظ فيه تابعة للمعاني وليست المعاني تابعة لها (عباس، ١٩٩٨: ٣٠٣). فإذا اتبع المعنى فيه اللفظ فإنه من السجع الممقوت والردى، حيث لا يقع إلا في كلام ضعفاء المتكلمين (البلاغة العربية: ٣٠٣).

أن تكون كل فقرة من فقرات السجع دالة على معنى غير معنى الفقرة الأخرى (سلامه، ١٩٨٧: ٥٠٦)، وإلا كان تكراراً، وترادفاً للمعنى، وتطويلاً يبعد السجع عن مواطن البلاغة، وعن الهدف الذي أريد منه (البلاغة العربية: ٣٣٦).

أن الأسجاع موضوعة على أن تكون ساكنة الإعجاز، موقوفاً عليها لأن الغرض منها المجانسة والمزاوجة بين الفقرات، ولا يتم ذلك إلا بالوقوف. فلو ظهر الإعراب لفات ذلك الغرض. مثلاً قول: «ما أبعد ما فات، وما أقرب ما هو آت» (سلامه، ١٩٨٧: ٥٠٦). للزم أن تكون التاء الأولى مفتوحة، والثانية مكسورة منونة، فيفوت غرض الاتفاق<sup>١</sup>. كقوله تعالى: وما لهم من دونه من وال...، ويُشئُ السحابُ الثقالَ (الرعد: ١١-١٢). كذلك قوله تعالى: «ذُحوراً ولهم عذابٌ واصبٌ، إلاّ مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثاقِبٌ، فاستفتتهم أهم أشدّ خلقاً أم من خلقنا إنا خلقناهم من طينٍ لازبٍ» (الصافات: ٩-١١).

فلما استوفى السجع هذه الشروط كان حلية ظاهرة بليغة في الكلام. إن السجع في الأسلوب القرآني أفضل مثال يحتذى به، إذ لم يعتمد القرآن الكريم السجعة من أجل أن يؤثر من خلالها على نفوس البشر، أو من وراء التعبير عن المعنى المقصود، بل كانت السجعة في آياته مستقرة في قرارها، مطمئنة في موضعها، غير قلقة ولا نائرة، يتعلق معناها بمعنى الآية الكريمة كلها، تعلقاً تاماً. حيث لا يمكن استبدالها بكلمة أخرى غيرها، فروع السجعة في القرآن الكريم، وإحكامها وتنسيقها معجزة في ذاتها» (جولد تسهر، اجنتس، مذاهب الاسلامي: ٣٧٤).

## فائدة السجع

إن الكلام الموزون ذا النغم الموسيقي يثير انتباهاً عجبياً وإعجاباً فائقاً لدى البشر، وذلك لما فيه من توقع لمقاطع خاصة تنسجم مع ما يسمع من مقاطع لتتكون منها جميعاً تلك السلسلة التي تتردد في أواخر الكتل الصوتية (الحسناوي، ١٩٨٦: ١٧٦)؛ يعد السجع جزءاً لا يتجزأ من فنية الإيقاع والموسيقى، فله في النفوس تأثير شديد وعلى الأسماع وقع ورنين. حيث يستخف القلوب ويستهو الألباب ويحدث في السامعين نشوة وأريحية (الخفاجي، ١٩٧٣: ١٢٤).

فالمحطات والكتل الصوتية التي يجمعها السجع تخلق في الكلام نوعاً من التوازن الموسيقى والتناسب الإيقاعي اللذين يقويان الوحدة ويولدان اللذة والتمتع بالكلام، فهذه النغمات والإيقاعات التي يوجدها السجع تساعد في إيصال المفاهيم إلى المتلقى، لأن النغمات هذه ترافق وتلائم المعاني عادة، حسب الدلالات الصوتية المناسبة التي تحملها («دراسة موجزة في موسيقى الخطبة الغراء للإمام علي (ع)»، مرتضى قائمي، مجلة آفاق الحضارة الإسلامية، العدد ٢٣، ص ٥٢٨). إذن، فإن السجع يبهير بموسيقاه السمع، ويستولي على الوجدان بأنغامه، وألحانه، فهو السحر الحلال الذي جمع بين مزايا الشعر والنثر على السواء.

إن القرآن الكريم نزل في أمة أمية تسمع أكثر مما تكتب، على هذا لم يهمل فطرة العرب، فلم يكن غريباً أن يهتم نص كتابها بالصورة الصوتية المسموعة (الحسناوى، ١٩٨٦: ١٧٧)، إضافة إلى عنايته البالغة بالمعنى الدقيق والأسلوب الفذ، فلذا اصطنع فنوناً من الأساليب جرياً وراء منهجه الأصيل في مخاطبة العقول والقلوب، فمن بين هذه الفنون والأساليب سحر السجع واتخذة وسيلة للتأثير على الاسماع والنفوس. غير أنه لم يفعل ذلك للانسجام الموسيقى وحده (الزوبع، ١٩٩٦: من أساليب التعبير القرآني، ١٩٥)، بل لمراعاة ما يقتضيه التعبير والمعنى كذلك.

يقول شيخ بكرى أمين: «إن الفاصلة أو السجع، ترد وهي تحمل شحنتين في آن واحد شحنة من الوقع الموسيقى وشحنة من المعنى المتمم للآية، وهذه الشحنة الثانية تتجلى بارزة عند إمعان النظر في الآية وما حملت من الأفكار والمعاني» (أمين، ١٩٨٠: ٢٠٣).

السجع يعكس الطلاقة الأدبية، فهذه الطلاقة هي التي تعكس تنوعاً عجيباً في إيقاع القرآن، وهذا التنوع يختلف في السور بالقياس إلى الأسجاع القصيرة والطويلة والمتوسطة، وبتنوعها في أحرف الروى، وهو أشبه باختلاف بحور الشعر في الديوان الواحد (سيد قطب، ١٩٥٦: ٩٠-٩١)، فمن المواضيع التي نلاحظ فيها هذا التنوع ما جاء في سورة «مريم»: فالسورة تبدأ بقصة «زكريا» و «يحيى» وتليها قصة «مريم» و «عيسى» وتسير الفقرات هكذا: «ذَكَرْ رَحْمَةَ رَبِّكَ عَبْدُهُ زَكْرِيَا، إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا، قَالَ: رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا» (مريم: ٢-٤).

إلى أن تنتهي القصتان على روى واحد، وفجأة يتغير هذا النسق بعد آخر فقرة في قصة «عيسى»، على النحو التالي: قال: «إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا، وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَمَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا، وَبَرًّا بِوَالِدَتِي، وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا، وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا، ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ، مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وُلْدٍ سَبْحَانَهُ، إِذَا قُضِيَ أَمْرٌ، فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ: كُنْ فَيَكُونُ» (مريم: ٣٠-٣٥).

هكذا تتغير الفقرات وتطول مع التغير في إيقاعها، كأن الله تعالى في هذه الآيات الأخيرة يصدر حكماً بعد نهاية القصة، ولهجة الحكم تقتضى أسلوباً موسيقياً غير أسلوب العرض القصصى وتقتضى إيقاعاً قوياً رصيناً، بدل إيقاع القصة الرخى المسترسل، وكأنما لهذا السبب كان التغير (سيد قطب، ١٩٥٦: ٩١ - ٩٢).

كذلك نلاحظ في سورة «النازعات» أسلوبين موسيقيين وإيقاعين ينسجمان مع جوين فيها تمام الانسجام نتيجة تنوع الفقرات فضلاً عن الفواصل والأسجاع. أولهما: يظهر في هذه المقطوعة، السرعة الحركة، القصيرة الموجة، القوية المبنى تنسجم مع جوّ مكهرب، سريع البنى شديد الارتجاج على النحو التالي:

والنازعات غرقاً، والناشطات نشطاً، والسابحات سبحاً (النازعات: ١-٣).

وثانيهما: يظهر في هذه المقطوعة الوانية الحركة، الرخية الموجة، المتوسطة الطول، ينسجم مع الجو القصصى الذى يلي مباشرة من السورة (سيد قطب، ١٩٥٦: ٩٣-٩٤) على النحو التالي: "هل أتاك حديث موسى، إذ ناداه ربه بالواد المقدس طوى، اذهب إلى فرعون إنه طغى" (النازعات: ١٥-١٧).

فهذه المواضع والمواضع الكثيرة الأخرى في القرآن تدل على أن فى القرآن إيقاعاً موسيقياً متعدد الأنواع، يتناسق مع الجو ويؤدى وظيفة أساسية فى البيان ولا يفصل النظام الموسيقى عن مجال الدلالات والمعانى (سيد قطب، ١٩٥٦: ١٥١)، فلذا نشاهد أن قدراً عظيماً من الآيات القرآنية موزونة موسيقية متناسبة متكافئة ومرتبطة تمام الارتباط بمعانيها، لأن القرآن كتاب دعوة قبل أى اعتبار آخر، وأن كنوزه المعرفية والشكلية ما كانت إلا خدمة لغرض أساسى طالما نادى به.

## أسباب السجع

إنَّ القرآن لا يُعنى بالسجع (الفاصلة) على حساب المعنى ولا على حساب مقتضى الحال، بل هو يحسب لكل ذلك حسابه، فالقرآن يختار السجع مراعيًا فيه المعنى والسياق والجرس، ويراعى فيه خواتم الآيات، وجوَّ السورة، وكل الأمور التعبيرية والفنية فيها، بل يراعى فيه إلى جانب ذلك كله، عموم التعبير القرآنى. فمن المعلوم والمؤكد، أنَّ القرآن اختار السجع فى السور لأسباب مختلفة، فلم يأت به اعتباطاً، بل يهدف من ورائه تحقيق غرض أو سبب معين من بين الأسباب المتعددة (الزوبعى، ١٩٩٦: ٣٨٦).

فبعض العلماء القدامى والمحدثين تناولوا أسباب السجع فى دراساتهم القرآنية واستخرجوا هذه الأحكام والأسباب موضحين لها أمثلة من كتاب الله، فمن بين هذه الأسباب يمكننا الإشارة إلى:



- تأخير ما أصله التقديم كقوله تعالى: «فأوجسَ في نفسه خيفة موسى» (طه: ٦٧)، أصل الكلام أن يتصل الفعل بفاعله، ويؤخر المفعول، ولكن آخر الفاعل، وهو «موسى»، لأجل رعاية السجع أو الفاصلة. ونحو: «ولقد جاء آل فرعون النذر» (القمر: ٤١) فأخر الفاعل لأجل السجع. ونحو: «ولم يكن له كفواً أحد» (الاحلاص: ٤) حيث قُدّم خبر كان على إسمها، وأخر الاسم مراعاةً للسجع، وتقريراً لنفي التشبيه والقطع به. وقُدّم سبحانه له وهو غير مستقر لأن سياق هذا الكلام لنفي الكُفء من ذات البارى، وهذا المعنى مركزه هذا الظرف (الطبرسى، ١٩٩٢: ٢ / ٧٩٩). ومنه أيضاً: «إياك نعبد وإياك نستعين» (الفاتحة: ٥) قُدّم إياك فى موضعين على عاملين للاختصاص. ثم أخرت الاستعانة عن العبادة فى الآية الكريمة وهى قبل العبادة، فإنما أخرت لأجل توافق نهاية الفقرات (الزركشى، ١٩٩٠: ١٥٩). كذلك، قوله تعالى: «لنريك من آياتنا الكبرى» (طه: ٢٣). إذا أعربت الكبرى مفعول «نرى» الثانى، فأخر لأجل توافق الأسجاع، ويجوز أن يكون «الكبرى» صفة محذوف وهو المفعول الثانى، والتقدير: «لنريك الآية الكبرى من آياتنا» (الطبرسى، ١٩٨٦: ٧-٨ / ١٤).

- تقديم ما هو متأخر فى الزمان (السيوطى، ١٩٨٨: ٢٧ / ١)، نحو: «فله الآخرة والأولى» (النجم: ٢٥). فعدل البيان القرآنى عما هو مألوف، من تقديم الأولى على الآخرة. فقُدّمت الآخرة على الأولى لمراعاة الفاصلة. كذلك يمكن القول إنَّ القصد من التقديم ليس لأجل رعاية الفاصلة فحسب، وإنما اقتضى المعنى فى سياق البشرى والوعيد، إذ الآخرة خير وأبقى وعذابها أكبر وأشد وأخزى (عائشة عبدالرحمن، ١٩٨٤: ٢٧٧-٢٧٨).

- مخالفة القياس ولها أسباب متنوعة، منها:

حذف ياء الفعل غير المجزوم نحو: «والليل إذا يسر» (الفجر: ٤).<sup>٩</sup>

حذف ياء المنقوص المعرف نحو: «الكبير المتعال» (الرعد: ١٠)، يوم التناد (المؤمن: ٣٢).<sup>١٠</sup>

صرف ما لا ينصرف نحو: «قواريرا، قواريرا».

تغيير بنية الكلمة (السيوطى، ١٩٨٨: ٣٢). نحو: «وطور سينين» (التين: ٢).

والأصل: طور سيناء. وسينين وسيناء واحد. وقيل إن سينين معناه المبارك الحسن. وكأنه قيل جبل الخير الكثير، أو معناه كثير النبات والشجر (الشيخ الطبرسى، ١٩٨٦: ٩-١٠ / ٧٧٥).

- حذف المفعول، نحو: «والضحى، والليل إذا سجدى، ما ودّعك ربك وما قلى» (الضحى: ١، ٢، ٣) حذف المفعول هنا إذ كان الأصل فيه «قلاك» لمراعاة الأسجاع، مع دلالة السياق عليه، فتقتضيه حساسية مرهفة، بالغة الدقة واللفظ، فيتحاشى خطابه تعالى ورسوله بصريح القول «وما قلاك»، لما فى القلى من حس الطرد والإبعاد وشدة البغض، فالقرآن لا يريد أن يمسه خاطر

النبى وجاء بتعبير «قلى»، لإيناسه، وهذا نوع من الأدب القرآنى فى التعامل مع النبى (عائشة عبدالرحمن، ١٩٨٤: ٢٦٩).

- حذف الفاعل ونبابة المفعول عنه، نحو: «وما لأحد عنده من نعمة تجزى» (الليل: ١٩).  
- حذف ياء الإضافة (السيوطى، ١٩٨٨: ٢٧-٢٩)، نحو: «فكيف كان عذابى ونذر» (القمر: ١٨). «فكيف كان عقاب» (الرعد: ٣٢).

• الاستغناء بصيغة عن أخرى:

- الاستغناء بالإفراد عن التثنية، نحو: «فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى» (طه: ١١٧). يقول الزمخشري: «إنما أسند الى آدم وحده فعل الشقاء دون حواء بعد إشراكهما فى الخروج؛ لأن فى ضمن شقاء الرجل وهو قيّم أهله وأميرهم، شقاءهم كما أن فى ضمن سعادته سعادتهم، فاختصر الكلام إليه دونه مع المحافظة على الفاصلة» (الزمخشري، ١٤١٦: ٣/٩١، ٩٢).

- الاستغناء بالإفراد عن الجمع (الزركشى، ١٩٩٠: ١٥٩). نحو: «واجعلنا للمتقين إماماً» (الفرقان: ٧٤)، وأصله إئمة، اكتفى بالواحد لدلالته على الجنس ولعدم اللبس (الزمخشري، ١٤١٦: ٣/٢٩٦). أو نحو: «إنّ المتقين فى جنات ونهر» (قمر: ٥٤). قال الفراء: الأصل «الأنهار» إنما وُحِدَ لأنه رأس آية. فقابل بتوحيد رؤوس الآية (الفراء، ١٩٨٣: ٣/١١١). وقال الآخرون إن «الأنهار فى آيات كثيرة جاءت فى وصف الجنات مع «من تحتها» لا مع الحرف «فى»، ونهر بفتح الهاء «السعة» ويكون معنى الآية الكريمة: «إنّ المتقين فى جناتٍ وسعة. والسعة على التنكير فى قول الله تجعل نعيم المتقين فى الجنات غير محدودة» (الحسناوى، ١٩٨٦: ١١٠).

- الاستغناء بالتثنية عن الإفراد، نحو: ولمن خاف مقام ربّه جنتان. قال الفراء: هذا باب مذهب العرب فى تننية البقعة الواحدة وجمعها كقوله: «ودار لها بالرقمتين» وثناهما لأجل السجع رعاية لتي قبلها وبعدها على هذا الوزن (عائشة عبدالرحمن، ١٩٨٤: ٢٧٤) أو ربما «جنتان» خطاب للتثنية. فكأنه قيل لكل خاتفين مثلكما جنتان. جنة للخائف الإنسى، وجنة للخائف الجنى، ويجوز أن يقال جنة لفعل الطاعات وجنة لترك المعاصى (الزمخشري، ١٤١٦: ٤/٤٥٢).

- الاستغناء بالجمع عن الإفراد، نحو: «لا يبيع فيه ولا خلال» (ابراهيم: ٣١). أى ولا خلة فجمع مراعاة للفاصلة.

• العدول عن صيغة الماضى الى صيغة الاستقبال، نحو: «ففرقياً كذبتم وفرقياً تقتلون» والأصل: قتلتم. ولم يقل: «قتلتم». لأنه اريد الحال الماضية، فأريد استحضاره فى النفوس وتصويره فى القلوب (الطبرسى، ١٩٩٢: ١/٦١).

● الإيتار:

- إيتار أغرب اللفظين، نحو: «قسمة ضيزى» (النجم: ٢٢) <sup>١١</sup> فضيزى بمعنى جائرة. وهى من أغرب الألفاظ، فجاءت الكلمة لتوافق الأسجاع.

- إيتار أحد اللفظين على الآخر، نحو: «ألهاكمُ التكاثر، حتى زُرْتُمُ المقابر» (التكاثر: ١-٢). أن المقابر أُرثت على القبور، للمشكلة اللفظية بينهما، والانسجام والايقاع، منسقان فيهما. وراء ذلك ملحظٌ بيانيٌ آخر اقتضاه المعنى، فالمقابر جمع المقبرة وهى مجتمع القبور واستعمالها هنا هو الملائم معنوياً لهذا التكاثر، دلالة على مصير ما يتكالب عليه المتكاثرون فى حطام الدنيا هناك، حيث مجتمع الموتى محتشد الرمم على اختلافها وهذه الدلالة من السعة والعموم والشمول لا يمكن أن يقوم بها لفظ القبور، فيقدر ما بين قبر ومقبرة من تفاوت، يتجلى البيان القرآنى فى إيتار المقابر على القبور (عائشة عبدالرحمن، ١٩٨٤: ٢٧٥).

● زيادة هاء السكت على ياء الكلمة أو ياء المتكلم (السيوطى، ١٩٨٨: ٣١)، نحو: «وأما من تَقُلْتُ موازينه، فهو فى عيشة راضية، وأما مَنْ خَفْتُ موازينه، فأُمُه هاوية. وما أدريك ماهيه، نارٌ حامية» (الفارعة: ٦-١١) أو نحو: «ماليه» (الحاقة: ٢٨).

● وقوع شىء محل شىء آخر:

- وقوع الفاعل موقع المفعول، نحو: «عيشة راضية». أى مرضية.  
- وقوع المفعول موقع الفاعل، نحو: «حجاباً مستوراً» أى ساتراً.  
- وقوع الظاهر موقع المضمرة، نحو: «الذين يُمسِكُونَ بالكتاب وأقاموا الصلاة إنا لا نضيع أجر المُصلحين» (الأعراف: ١٧٠)، أى أجرهم.

- إيقاع حرفٍ مكان غيره، نحو: «بأن ربك أوحى لها» (الزلزلة: ٥) والأصل إليها. فعدى أوحى باللام وإن كان المشهور تعديتها بإلى (السيوطى، ١٩٨٨: ٣٠). غير أن عائشة عبدالرحمن تقول: إذا كان الموحى إليه من الأحياء فيتعدى بـ إلى. «أما حين يكون الموحى له جماداً فالفعل يتعدى باللام، فاللام هنا متعينة» (عائشة عبدالرحمن، ١٩٨٤: ٢٧٧).

إن المتتبع للسجع القرآنى، يجد أن هناك أسباباً أخرى عديدة وكثيرة تستحق الذكر، لكن مجالنا الضيق هنا لا يسمح ذكرها كلها وتحديدها.

النتيجة

رغم ما تمتعت به اللغة العربية من فصاحة وبلاغة، طالما اشتهرت بنماذجها وأساليبها الرفيعة، لكن

يبقى لأسلوب السجع الذي حملته القرآن في آياته، هو الأوضح والأبلغ، حين تميز منذ وهلته الأولى بإعجازاته التي خطفت قلوب السامعين سريعاً.

فالقرآن الكريم تفضل بالسجع وأخرجه الى سطح بلاغته وموطن فصاحته فَعُدَّ وجوده في القرآن الكريم إعجازاً في حد ذاته، يضاف الى معجزاته البيانية الاخرى، لعدم قدرة بلغاء العرب وفصحائهم على مضاهاته أو مجاراته أو الإتيان بمثله.

وهذا ليس معناه أن السجع كان يحمل الصفة الجمالية فقط مثلما كان سائداً ومعروفاً بتلعباته الفنية والكلامية اللفظية، إنما كان يقصد من ورائه أهدافٌ أخرى ليست اعتباطية أو عشوائية، بل كان السجع القرآني سجعاً من ورائه خفايا وأسرار جعلت المهتمين والباحثين والمعنيين يتلذذون بدراسة السجع، لما حمله من آثار التشويق والإثارة لدى القارئ أو المستمع، إلى جانب أهدافه السامية الأخرى.

فالقرآن كان نموذجاً حياً ومثالياً للأساليب الراقية العالية السامية، فأضح عنه السجع والأساليب الرفيعة الأخرى لتبرهن على الإعجاز القرآني الذي ما وصل إليه أي أسلوب أو أي كتاب لأى كان ومهما كان، فلهذا السبب الأساسي نجح السجع القرآني في كسب استحسان القراء والمتتبعين والباحثين للنتائج الأدبية التي جعلت من السجع ملازمة جادة، طالما أثبتت روعة الفن الأدبي والبلاغي في قمتها وذروة مجدها البديعي.

## الهوامش

١. يرى البعض أن السجع غير مختص بالثر، بل قد يكون في النظم أيضاً، كقول أبي تمام حين يمدح أبا العباس نصر بن بسام:

تجلى رشدي وأثرت به يدي      وفاض به ثمدي وأورى به زندي

(المراغي، د.ت: ٣٣٨)

٢. هناك مصطلح آخر إن لم يكن متأخراً عنهما في الظهور فهو «رؤوس الآيات» التي هي بدورها نهايات الآيات، فأول من سمى السجع بـ «رؤوس الآيات»، كان الفراء، ثم تبعه الزجاج في ذلك.

٣. ومن الآيات الأخرى التي استخدمت هذه المادة فيها يمكن الاستناد الى «كتاب فصلناه» الأعراف ٥٥١١، و «آيات مفصلات» الأعراف، ١١٣٣٢٢.

٤. وقد سماه ابن قيم الجوزية «المتطرف» في كتاب *الفوائد المشوق الى علوم القرآن وعلم البيان*.

٥. تكون الثانية والثالثة فيها أطول من الأولى.

٦. تكون الثانية فيها أقصر من الأولى.
٧. تكون الأولى والثانية فيها متساويتين، والثالثة زائدة عليهما.
٨. قد يكون السجع مبنياً على التغيير، فيجوز أن تتغير لفظة الفاصلة لتوافق أختها بما في ذلك الإمالة. فقد يكون فى الفواصل ما هو من ذوات الياء، وما هو من ذوات الواو، فتعال التي هي من ذوات الواو وتكتب بالياء حملاً على ما هو من ذوات الياء، لأجل الموافقة نحو قوله تعالى: «الضحى واللبل إذا سجي» اميلت والضحى وكتبت بالياء حملاً على ما هو من ذوات الياء لأجل الموافقة. وكذلك قوله تعالى: والشمس وضحيها، اميلت فيها ذوات الواو وكتبت بالياء حملاً على ما هي من ذوات الياء. فمن أمثلة ذلك كثير وأسبابه تختلف أيضاً. من ذلك حذف المفعول نحو قوله تعالى: «ما ودَّعك ربك وما قلى» (الضحى: ٣) والأصل «وما قلاك»، حذفت الكاف لتوافق الفواصل. كذلك صرف ما لا ينصرف، كقوله تعالى: «وأكواب كانت قواريرا، قواريرا من فضة قدروها تقديراً»، (الانسان: ١٥-١٦). صرفه بعض القراء ليوافق فواصل السورة الكريمة.
٩. حذفت الياء فى يسرى، من دون علة صرفية لأن القياس فيها إنبات الياء فى المضارع المرفوع.
١٠. وقد حذفت فيهما الياء والقياس بقاؤها بسبب تحليهما بالألف.
١١. كذلك الحطمة، فى لينبذن فى الحطمة. الهمزة ٤.

## المصادر

### القرآن الكريم.

ابن دريد، الجمهرة.

- ابن منظور، الامام العلامة أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (٢٠٠٤ م). لسان العرب، بيروت: دار صادر.
- أبو حاققة، د. أحمد (١٩٩٦ م). البلاغة والتحليل الأدبي، بيروت: دار العلم للملايين.
- أحمد نحلة، محمود (١٩٨٩ م). دراسات قرآنية فى جزء عم، بيروت: دار العلوم العربية.
- أمين، شيخ بكرى (١٩٨٠ م). التعبير الفنى فى القرآن، بيروت: دار الشروق.
- بنت الشاطى، عائشة عبدالرحمن (١٩٨٤ م). الإعجاز البيانى للقرآن ومسائل ابن الأزرق (دراسة قرآنية لغوية بيانية)، القاهرة: دار المعارف.

الجندى، على (١٩٥١ م). صور البديع، فى جزءين، القاهرة: دار الفكر العربى.

الجوزية، ابن قديم (١٣٢٧هـ). كتاب الفوائد المشوق الى علوم القرآن وعلم البيان، ط ١، مصر: مطبعة السادة.

جولد تسهر، العالم المستشرق إجتيس (١٩٩٢ م). مذاهب التفسير الاسلامى، ترجمة عبدالحليم النجار، ط ٥، بيروت: دار إقرأ.

الحسناوى، محمد (١٩٨٦ م). الفاصلة فى القرآن، المكتب الاسلامى، ط ٢، بيروت: دار عمار، عمان.

الخفاجى، عبدالمنعم (١٩٧٣ م). الشعر الجاهلى، بيروت: دار الكتب اللبنانى.

الخفاجى، ابن سنان (١٩٥٣ م / ١٣٧٢هـ). سر الفصاحة، حققه عبدالمتعال الصعدي، مصر: مكتبة محمد صبيح.

## ١٢٠ الأسلوب المسجوع في الآيات القرآنية

- الزركشي، محمد بن عبدالله (١٩٩٠ م). البرهان في علوم القرآن، حققه يوسف عبدالرحمن المرعشلي، الشيخ جمال حمدي الذهبي، و الشيخ ابراهيم عبدالله الكردي، الجزء الأول، بيروت: دار المعرفة.
- الزمخشري، جارالله محمود بن عمر (١٤١٦ هـ. ق). الكشاف عن غوامض التنزيل و عيون الأقاويل، بيروت: دار الكتب العربي.
- الزويبي، طالب محمد (١٩٩٦ م). البيان والبديع لطلبة قسم اللغة العربية، ناصر حلاوي، بيروت: دار النهضة العربية للطباعة والنشر.
- الزويبي، طالب محمد (١٩٩٦ م). من أساليب التعبير القرآني (دراسة لغوية وأسلوبية في ضوء النص القرآني)، ط ١، بيروت: دار النهضة العربية.
- سلامه، شرف الدين حسين بن محمد الطيبي (١٩٨٧ م). التبيان في علوم المعاني والبيان والبديع، حققه هادي عطية مطر الهلالي، لبنان: مكتبة النهضة العربية (عالم الكتب).
- سيد قطب (١٩٥٦ م). التصوير الفني في القرآن، مصر: دار المعارف.
- السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر (١٣٧٠ هـ). الاتقان في علوم القرآن، ط ٣، مصر: مطبعة مصطفى البابي الحلبي.
- السيوطي، أبو الفضل جلال الدين عبدالرحمن أبي بكر (١٩٨٨ م). معترك الأقران في إعجاز القرآن، صححه أحمد شمس الدين، المجلد الأول، ط ١، بيروت: دار الكتب العلمية.
- الطبرسي، علي بن الفضل بن الحسن (١٩٩٢ م). جوامع الجامع في تفسير القرآن المجيد، ج ١-٢، ط ١، بيروت: دار الأضواء.
- الطبرسي، الشيخ أبو علي الفضل بن الحسن (١٩٨٦ م). مجمع البيان في تفسير القرآن، صححه السيد هاشم الرسولي المحلاتي، السيد فضل الله اليزدي الطباطبائي، ج ٧، ط ١، بيروت: دار المعرفة.
- طهراني، نادر نظام (١٣٨٠). «اللغة العربية وظاهرة السجع في الجاهلية والاسلام»، مجلة دانشكده ادبيات وعلوم انساني دانشكاه تربيت معلم (ويژه نامه زبان های خارجی)، السنة ٧، العدد ٣٣، طهران.
- عباس، فضل حسن (١٩٩٨ م). البلاغة وفنونها وأفنانها، عمان - الأردن: دار الفرقان للنشر والتوزيع.
- عبود، شلتاغ (١٩٩٢ م). الإعجاز القرآني أسلوباً ومضموناً، بيروت: دار المرتضى.
- الفراء، يحيى بن زياد (١٩٨٣ م). معاني القرآن، صححه أحمد يوسف نجاتي و محمد علي نجار، ط ٣، لبنان: عالم الكتب.
- المراغي، أحمد مصطفى (د.ت). علوم البلاغة (البيان والمعاني والبديع)، د.ط، بيروت: دار العلم.
- نهيرات، أحمد (٢٠٠٩ م). «جمال القص القرآني»، آفاق الحضارة الاسلامية، معهد العلوم الانسانية والدراسات الثقافية، العدد ٢٣، السنة ١٢، طهران.